﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٥٣ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٤﴾ [غافر: 53 - 54]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لِما قبلَهُما:

مـن مـصـاديـق نصرِ اللهِ لرسلهِ ﷺ في الدُّنيا

لمّا بيَّن الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ سنَّته المُنبِئة عن قدرته المطلقة في نصر الأنبياء والمؤمنين في الدُّنيا والآخرة، وهو يوم يقومُ الأشهاد، ولا ينفع الظّالمين ما يبدونه فيه من معاذير، ذكر هنا "نوعًا مِن أنواع تلك النُّصرة في الدُّنيا"[1]، ومصداقًا من مصاديقها، فقال: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وأيضًا: لمّا سبق ذكر ما جرى لموسى وفرعون، وما آل إليه أمر فرعون وجنوده، ثمَّ ذكر الحكم العامَّ الشّامل له ولأهل النّار؛ ذكر أنَّه أعطى موسى ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾، أي: الآيات، والعلم الذي يهتدي به المهتدون[2]، وهذا من أعظم أنواع النَّصر للمرسلين والمؤمنين؛ لأنَّه نصر بالحجَّة البالغة المقنعة، وهي باقية لا تفنى.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾: أصل (هدى) يدلُّ على معنى التَّقدُّم للإرشاد، ومنه قولهم: هديته الطَّريق هداية، أي: تقدَّمته لأرشده، وكلُّ متقدِّم لذلك هادٍ، والهدى: خلاف الضَّلالة، تقول: هديته هُدًى[3]، والهداية دلالة بلطف ... وخصَّ ما كان دلالة بهديت - الثلاثي - وما كان إعطاء بأهديت - الرباعي - [4] والهداية في اللُّغة الإرشاد، لكنَّها

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 525.
(2) السعدي، تفسير السعدي، ص: 739.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (هدى).
(4) الراغب، المفردات: (هدى).

تتصرَّف على وجوه يعبِّر عنها المفسِّرون بغير لفظ الإرشاد، وكلُّها إذا تؤمِّلت؛ رجعت إلى الإرشاد، هكذا قال ابن عطيَّة[1]، والمرادُ بالهدى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ الرِّسالة، وما يُهتدَى بهِ من المعجزاتِ والصُّحفِ والشَّرائع[2].

2) ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾: أورثنا: (ورث) من الورث، والميراثُ أصلُهُ الواو، وهو أن يكونَ الشَّيءُ لِقوم، ثُمَّ يَصيرَ إلى آخرينَ بنسبٍ أو سببٍ[3]، ويقال لكلِّ من حصل له شيء من غير تعب: قد ورِثَ كذا، ويقال لمن خوِّلَ شيئًا مهنَّئًا: أورِثَ، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الزخرف: 72]، ومعنى ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾، أي: وتركنا عليهم من بعدِه التَّوراةَ[4].

3) ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: أصل (ذكر) يدلُّ على خلاف النِّسيان، يقال: ذكرت الشَّيء، خلاف نسيته، ثمَّ حمل عليه الذِّكْرُ باللِّسان، ويقولون: اجعله منك على ذُكْرٍ، بضمِّ الذّال، أي: لا تنسه[5]، والذِّكرى: كثرةُ الذِّكر، وهو أبلغ من الذِّكر، قال تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣﴾ [ص: 43]، والتَّذْكِرَةُ: ما يتذكَّر به الشَّيء، وهو أعمُّ من الدَّلالة والأمارة، قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ۝٤٩﴾ [المدثر: 49]، ومعنى: ﴿هُدَى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، أي: إرشادًا وتذكرة لذوي العقول[6] الراشدة الزّاكية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تسليةُ الرَّسول ﷺ بما منحه الله لموسى عليه السلام من الهُدى والنَّصر

في هاتين الآيتين يُسلّي ربُّ العزَّة سبحانه رسوله محمَّدًا ﷺ حين اشتدَّ عليه إعراضُ قومه، بما آل إليه أمرُ نبيِّه موسى عليه السلام بعدما تنكَّر

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/ 73.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 280.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ورث).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 280.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذكر).
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 3/ 216.

له فرعونُ، وخرج في عقبهِ يريد الفتكَ بهِ وبمن معه، فقد أكرمه ربُّه بأن آتاه ﴿ٱلْهُدَىٰ﴾، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾، أي: التَّوراة الهادية الَّتي فيها الحجَّة البالغة والهداية الكاملة لكلٍّ من تمسَّك بها عن حقٍّ، وأمّا الذين آمنوا به؛ فقد أبقى فيهم هذه التوراة يحتكم إليها أصحاب العقول الواعية الراشدة، ويهتدون بها، ويتذكَّرون بما ترشدهم إليه من الخير، ويذكِّر بعضُهم بعضًا بذلك كلِّه، ولا يشذُّ عن هذا إلّا أصحاب العقول السَّقيمةِ، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، فهي ذكرى لهؤلاء دون غيرهم مِن أهلِ الهوى والغواية.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في ﴿وَلَقَدْ﴾:

تثبيتُ القلوبِ بذكر سنَّة الله في نصر المؤمنين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ استئنافيَّة، والجملة بعدها معترضة بين ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾، وبين التَّفريع عليه في قوله: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[1]، والغرض من الجملة تأكيد معنى كونه سبحانه ناصرًا رسله ومؤيِّدهم مهما كانت قوَّة أعدائهم، نصرًا محقَّقًا لا يحتمل أيَّ شكٍّ فيه، ليبثَّ هذا التَّحقيق السَّكينة والطُّمأنينة في نفوس أهل الله، ويبثَّ التَّخويف والتَّرهيب في نفوس أعدائهم.

فائدةُ تتابع المؤكِّدات:

إزالةُ ما في نفوس الضُّعفاء مِن اهتزاز ثقتِهم في نصر الله المؤمنين على الجبّارين

تتابعت المؤكِّدات في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ﴾ بالقَسَم المقدَّر الذي أنبأت عنه (اللام)، وبحرف التَّحقيق (قد) الداخلة على الفعل الماضي، مع كونه واقعًا مقرَّرًا؛ لإزالة ما استقرَّ في النُّفوس من أنَّ ملوك الدُّنيا لا يغلبهم الضُّعفاء[2]، فإنَّ العاقبة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 169.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 89، بتصرف.

للرُّسل بما آتاهم الله من الهدى، وإن عظمت قوَّة من يعاندهم، فالمعاند ضالٌّ عن الهدى، والضّالُّ هالك وإن طال المدى.

نكتةُ إسناد الإيتاء إلى ضمير العظمة:

الفضلُ في النَّصر لله سبحانه والعزَّة كلُّها في الالتجاء إليه

أسند الفعل إلى ضمير العظمة في قولهِ جل شأنه: ﴿ءَاتَيۡنَا﴾، كما أسند النَّصر إليه، كذلك في قوله فيما سبق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾؛ لإبراز عزَّته سبحانه وعظمته في نصْرِهِ لرسلهِ وعباده المؤمنين؛ كي يفرحوا بنصره سبحانه، ويعتزّوا به، وأن يسندوا كلَّ فضل في ذلك إليه سبحانه، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: 8]، وقال: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾ [الروم: 4 - 5].

نكتةُ التَّقديم والتَّأخير بين مفعولَي الإيتاء:

تقديمُ الأهمِّ على المهمِّ

قوله سبحانه: ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ بتقديم ﴿مُوسَى﴾ وهو المفعول الأول لـ (آتى) على ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾، وهو المفعول الثّاني وعدم العدول إلى ترتيب مغاير هو من باب تقديم الأهمِّ؛ لأنَّ الحديث الأهمَّ هو عن نصر الله تعالى لرسله، وليس عن وسائل هذا النَّصر مع كونه مهمًّا كذلك، فهو من باب تقديم الأهمِّ على المهمِّ.

معنى (أل) في ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾:

ديـنُ اللـهِ هو الهدى للعالمين

(أل) في ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ للعهد، والمقصود الرِّسالة والكتاب فهما الهدى بما يتضمَّناه من صحَّة المنهج وقوة الحجَّة.

ويمكن حملها على الجنس، وهو اتِّجاه الطَّيبيِّ في قوله: "ألا ترى كيف أطلق الهدى في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾؛ ليكون شائعًا في جميع جنسه، فيتناول جميع ما آتاه الله في باب الدّين"[1].

وكلمة ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ مصدر الفعل (هَدَى)، والتَّعبير به بإيثار صيغة

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 528.

المصدر إشعار بأنَّه ﷺ قد أوتي الهدى نفسه، وهكذا الشَّأن مع كلِّ الرُّسل ﷺ فقد أيَّدهم الله تعالى بالرِّسالة وبالمعجزات الَّتي تثبت صدقهم وصدقها.

بلاغةُ المجازِ في ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾:

استعمال لفظ ﴿ٱلۡهُدَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ من باب المجاز؛ إذ هو مصدر الفعل: هدى يهدي، تُجوِّز به عن كلِّ ما يُهتدى به من المعجزات والصُّحف والشَّرائع، أو جُعِلَ عين الهدى مبالغة فيه[1].

الـهُـدى الكامل هـو الـهُـدى في الـدّيـن، وهـو الرِّسالة والكتاب

ومِن دلالات هذا المجاز هنا أنَّه يلزم من إيتاء هذا الهدى الكامل لنبيِّه موسى ﷺ أن يكونَ له العاقبة، وإن تناهت ضخامة من يعانده؛ لأنَّه ضالٌّ عن الهدى، والضّالُّ هالك، وإن طال المدى[2].

معنى الواو في قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ عاطفة، عطفت ما بعدها من توريث الكتاب على جملة ﴿ءَاتَيۡنَا﴾ بقصد الجمع بينهما؛ للإيعاز بأنَّ كلًّا منهما نوعٌ مستقلٌّ من أنواع النَّصر، فالنَّصر والعزَّة لموسى ﷺ كان بإيتائه الهدى، والنَّصر والعزَّة لقومه كان بما ورثوه من الكتاب.

كـتـابُ الـلـهِ ووحـيـه أعـظـم الهدى

وفي هذا العطف دلالةٌ على عظيم الشَّيء الموروث، وهو العلم والكتاب الهادي الناطق بالحكمة والموعظة، ألا ترى كيف أطلق الهدى في قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾؛ ليكون شائعًا في جميع جنسه، فيتناول جميع ما آتاه الله في باب الدين، ثمَّ جعل نصيب أمَّته الكتاب وحده؟[3] وأسند الفعل لضمير العظمة تأكيدًا لهذا التَّفخيم والتَّعظيم.

(1) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 330.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 89.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 13/ 528.

بلاغةُ الاستعارة في قوله: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾:

التَّعبيرُ بالإيراث عن التَّرك إمّا أنَّه على سبيل الاستعارة التَّبعيَّة، أو المجاز المرسل

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا﴾ استعارة تبعيَّة؛ إذ شُبِّه ترك الكتاب عليهم بالإيراث في كونه تركًا للمال مِنَ المورِّث إلى الوارث؛ ولكونِهِ أقوى أسباب الملك اختير (أورثنا) على سائر أسباب الملكِ[1]، وقيل: عبَّر بالوراثة؛ لأنَّ بني إسرائيل طوائفُ تنتقلُ فيهم التَّوراة من جيلٍ إلى جيل، فكان بعضهم يرثها عن بعض[2]، ويصحُّ أن يكونَ الإيراث مجازًا مرسلًا عن التَّرك[3]، أي: بعلاقة المسببيَّة، فالإيراثُ مسبَّبٌ عن التَّرك، أو بعلاقة المآل.

نكتةُ تقديم الإيتاء على التَّوريث:

تقديمُ السّابق والسَّبب على نتيجته

التَّرتيب بين الإيتاءِ على التَّوريث بتقديم الإيتاء على التَّوريث هو ترتيب وجودي؛ لأنَّ إيتاءَ موسى النُّبوَّة والكتاب، وهو المكنيُّ عنهما بالهدى في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ﴾، كان سابقًا لإيراث بني إسرائيل ذلك الكتاب الذي أوتيه موسى عليه السلام مِن قبلُ.

وفي هذا التَّقديم كذلك تأنيس للنَّبيِّ ﷺ بِذكر حال موسى عليه السلام، وما آتاه الله من النُّبوَّة والكتاب، ثمَّ النُّصرة والتَّمكين له على عدوِّه؛ فالنَّبيُّ ﷺ ليس بدعًا من ذلك[4]، وسنَّة الله تعالى في نصرة أوليائه معروفة موعودة.

بيانُ مفعولَيِ التَّوريث ونكتة التَّرتيب بينهما:

التَّقديم للأهمِّ بحسب السياق

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ الفعل (أورث) يتعدَّى إلى مفعولَين، الأوَّل مِنهما هو ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، ونُصب بالياء؛ لكونه ملحقًا بجمع المذكَّر السّالم، وحذفت نونه للإضافة والأصل (بنين)، والمفعول الثاني هو ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾، وقد روعي تقديم الأهمِّ منهما في هذا

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 80.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 398.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 330.
(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 564.

التَّرتيب بينهما، وذلك أنَّ مدارَ الكلام عن نصرِ الله ﷻ للمؤمنين، وهم هنا بنو إسرائيل، بعد الكلام عن نصرهِ لرسولهم.

نكتةُ التَّعبير بـ﴿بَنِيٓ﴾ وإضافتها إلى إسرائيل:

عظيمُ نعمةِ الله على بني إسرائيل

إسرائيلُ هو يعقوب عليه السلام، وفي التَّعبير بـ ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ دون تخصيصه ببعض أصحاب الشَّرائع منهم كاليهود فقط أو النَّصارى فقط ما يفيد العموم المفهوم من عموم اللَّفظ ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، وذلك للإشارة إلى عظيم نعمة الله تعالى عليهم جميعًا.

معنى(أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾:

أنعمَ اللهُ تعالى على بني إسرائيل بالتَّوراة وغيرها مِنَ الكتب

(أل) في ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ يجوز أن تكونَ للعهد، فيكون المرادُ بالكتاب التَّوراة فقط؛ لأنَّ سياق الآية في الحديث عن موسى عليه السلام، وكتاب موسى هو التَّوراة[1].

ويجوز أن تكونَ (أل) جنسيَّة، والتي تعني: أنَّ المرادَ باللَّفظ جنس ما أنزله الله على رسل بني إسرائيل مِنَ الكُتُب[2]، فيكون النَّصُّ بـ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ قرينةً تؤيِّد عموم ما أنزله الله على رسلهم، وهي كُتُب عديدة منها (التَّوراة والإنجيل والزَّبور)، وكلُّها نزلت من عند الله تعالى، فهي كُتُبٌ هاديةٌ لمن اتَّبعها مقيمة للحُجَّة على مَن خالفها، فكان فيها النَّصر والغلبة بحقٍّ، ما داموا قائمين عليها كما أنزلها الله.

بلاغةُ الحذفِ في الآية:

أعظمُ الميراثِ ميراث الكتاب والعلم

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إيجاز حذف، وتقدير الكلام: (ولقد آتينا موسى الهدى والكتاب، وأورثنا بني إسرائيل الكتاب)، وذلك أنَّ موسى عليه السلام قد

(1) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 347، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 330.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 525، والشوكاني، فتح القدير: 4/ 569.

أوتي من الهدى ما لم يرثه بنو إسرائيل، وهو الرِّسالة، وأوتي من الهدى ما أورثه بنو إسرائيل، وهو الشَّريعة الَّتي في التَّوراة[1].

الموقع النَّحويُّ لقوله: ﴿هُدًى وَذِكۡرَىٰ﴾ ودلالة تنكيرِهما:

أعـظـمُ الـهـدى هـــدى الـوحـي والكتاب

قوله تعالى: ﴿هُدًى وَذِكۡرَىٰ﴾ منصوبان، وفيهما وجهان: أحدهما: أنَّهما مفعولٌ مِنْ أجلهما، أي: لأجلِ الهدى والذِّكر. والثاني: أنَّهما مصدران في موضعِ الحالِ[2]، أي: هاديًا ومذكِّرًا[3].

والتَّنكير في اللَّفظين للتَّعظيم والتَّكثير، أي: في الكتاب هدًى وبيانٌ عامٌّ لمن اتَّبعه من المهتدين، وذكرى عظيمة للمتدبِّرين والمستنبطين من أصحاب القلوب الصّافية والعقول الوافية الشّافية[4].

نكتةُ التَّقديم والتَّأخير في قوله: ﴿هُدًى وَذِكۡرَىٰ﴾:

الـهُـدى أعـمُّ وأسبق وجـودًا من الذِّكرى ولذا قُدِّم عليها

نكتةُ تقديم الهدى على الذِّكرى في قوله: ﴿هُدًى وَذِكۡرَىٰ﴾ على ما يظهر أنَّه من تقديم العامِّ على الخاصِّ، بعطف الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ الهدى إنَّما يكون لجميع الأتباع أهل العلم منهم وغيرهم، وأمّا الذِّكرى؛ فهي لأهل العلم، فيكون المعنى: في الكتاب هداية وإرشاد لجميعهم، "وفيه ذكرى لما علمه أهل العلم منهم، وتشمل الذِّكرى استنباط الأحكام من نصوص الكتاب، وهو الَّذي يختصُّ بالعلماء منهم من أنبيائهم وقضاتهم وأحبارهم"[5].

ويمكن القول بأنَّ تقديم الهدى السَّبب فيه هو كونه أسبق وجودًا، فالهدى هو الدَّلالة على الشَّيء، وأمّا الذِّكرى؛ فإنَّها تقتضي شيئًا كان موجودًا ثمَّ نُسيَ، أي: إنَّ الذِّكرى مسبوقة وجودًا بالهدى، وقد أشار إلى هذا المعنى الفخر الرازي بقوله: والفرق بين الهدى والذِّكرى أنَّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 169.
(2) السمين، الدر المصون: 9/ 492.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 330.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 89.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 170.

الهدى ما يكون دليلًا على الشَّيء، وليس من شرطهِ أن يذكر شيئًا آخر كان معلومًا، ثم صار منسيًّا، وأمّا الذِّكرى؛ فهي الَّتي تكون كذلك، فكُتُب أنبياء الله مشتملةٌ على هذين القسمين بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكِّرات لما ورد في الكتب الإلهيَّة المتقدِّمة[1].

دلالةُ اللّام والإضافة في قوله: ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

آياتُ اللهِ هادية لأولي العقول الواعية

اللّام في قوله: ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هي لام الاختصاص، وذلك أنَّ الذين ينتفعون بما في الكتاب، فيكون لهم هدى وذكرى هم أولو الألباب دون غيرهم.

والمرادُ بـ(أولي الألباب) أصحابُ العقول الرّاشدة الواعية القادرة على الفهم والاستنباط، وإنَّما أضيفت (أولي) إلى ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ للبيان والتعريف؛ لأنَّ كلمة (أولي) مبهمةٌ، ولا تبيَّن إلّا بالإضافة إلى ما يعرِّفها.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

العقل والحِجر والنُّهى واللُّبّ:

مسمّاها واحد بناء على اعتبارات مختلفة، لكنَّها متقاربة أو متعاونة

فالعقل: هو الحابِسُ عَن ذَميم القَولِ والفِعْلِ، فالعَيْنُ والقافُ واللّامُ أصلٌ واحِدٌ مُنقاسٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عُظْمُهُ عَلَى حُبسَةٍ في الشَّيءِ[2].

واللُّبُّ: هو الخالصُ من كلِّ شيء، فاللّامُ والباءُ أصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى لُزومٍ وثَباتٍ، وعَلَى خُلوصٍ وجَوْدَةٍ[3].

ويُفهم من هذا التَّأصيل اللُّغوي أنَّه قد روعي في تسميته عقلًا كونه يحصر مَعْلومات المَوصوف بِهِ، كما روعي في تسميته لُبًّا كونه من خالص صِفات المَوصوف بِهِ[4].

فاللُّبُّ إذًا هو العقل الزّاكي الَّذي ينتفع به صاحبه، ولا يكفي أن

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 525.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: 4/ 69.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: 5/ 200.
(4) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 84.

يكون صاحبه فردًا مِن أفراد الجنس العاقل؛ لأنَّ اللُّبَّ هو الخالص المنتقى من كلِّ شيء، الخالي من الشَّوائب، فإطلاقُهُ على العقل؛ "لكونه خالص ما في الإنسان من قوَّةٍ كاللُّباب من الشَّيء"[1].

والنُّهى: جمع نُهية، هي العقول حال كونها صالحةً؛ لأن تنهى صاحبها عن فعل القبيح، وسُمّيت بذلك؛ لأنَّ "مِن شأنها النَّهي عما لا ينفع فضلًا عمّا يضرُّ"[2]، لكنَّها والحالة هذه قد لا تقوم بدورها في النَّهي، أو أنَّها تقوم به، لكن صاحبها لا يلتزم بتوجيهها، عنادًا لها ومكابرة، أو ضعفًا وانعدام همَّة، ولذلك ورد التَّعبير عن العقول بالنُّهى في مقام إنكار عدم الاهتداء بنواهي العقول في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾﴾ [طه: 128].

والحِجر: معناه المنع والإحاطة على الشَّيء[3]، ومنه قيل للعقل: حِجْر؛ لكون الإنسان في مَنْع منه ممّا تدعو إليه نفسه[4]، قال تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ [الفجر: 5].

فهذه المفردات هي إطلاقات على العقل كلٌّ باعتبارٍ مختلف عن الآخر، فالعقل اسم له باعتبار أنَّه يعقل صاحبه، ويحبسه على ما يوجِّهه إليه، والنُّهية اسم له باعتبار أنَّه ينهى صاحبه عمّا لا ينبغي له فعله، والحجر باعتبار أنَّه يمنعه عمّا لا ينبغي له فعله، وهو أيضًا اللُّبُّ، فاللُّبُّ باعتبار انتفاع صاحبه به، فهي إذًا أسماء متعدِّدة لمسمًّى واحد بناء على اعتبارات مختلفة لكنَّها متقاربة أو متعاونة.

(1) الراغب، المفردات، ص: 733.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 365.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حجر).
(4) الراغب، المفردات: (حجر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»